الثنائية القطبية الراهنة. ويمكن تفسير ذلك من عدة نواح، منها ان النفوذ الذي يمارسه أي من القطبين العظميين يستند الى ميراث تاريخي، وسياسي، واقتصادي، وعسكري، وهو أمر يصعب تفكيكه في فترة زمنية قصيرة؛ ومنها، أيضاً، ان أياً من الدول الصناعية المتطوّرة لا تستطيع ان تنافس ما لدى القوتين العظميين من نفوذ وتأثير عالمي، الاّ بصورة جزئية؛ وثالثاً، ان افتقار بعض القوى الدولية الجديدة، وعلى وجه الخصوص أوروبا الموحّدة، الى ارادة سياسية واحدة يحدّ كثيراً من دورها السياسي العالمي، مقارنة بدوري القوتين العظميين.

والتحفظات السابقة لا تعني تقليلاً من فكرة التحوّل نحو عالم متعدّد القوى، والذي هو أمثل، بالطبع، للقضايا العربية؛ ولكنها تعني وضع عملية التحوّل الجارية في اطارها الصحيح، من جانب، ودعوة الى معرفة وتفهّم العوائق العملية والفكرية التي تمنع الوصول الى تلك الحالة المثلى كمقدمة للالتفاف عليها في مرحلة تالية، من جانب آخر. كذلك، ان تلك التحفظات لا تعني، اطلاقاً، التقليل من شأن التقدّم التكنولوجي، والاقتصادي، اللذين يحرزهما بعض القوى الدولية. ولكن الامر لا يقف عند حدّ التقدم المادي وحسب؛ اذ ان النفوذ الذي تحظى به الدولتان العظميان يرتبط بجوانب مادية، ومعنوية، وتاريخية، ومصلحية، وهكذا.

الباعث الثاني وراء عملية التحوّل الجارية في السياسة الدولية، هو باعث سوفياتي المنشأ، ولكنه دولي الآثار والنتائج؛ ونعني به البريسترويكا السوفياتية، وانعكاساتها على البيئة الدولية. واذا كانت سياسة الاصلاح تنصبّ، في المقام الاول، على الحقائق الداخلية للدولة السوفياتية، فانها مسّت، وبعمق، أسس العلاقات الدولية وأفكارها الحاكمة التي تبلورت في المرحلة الزمنية السابقة، والتي عرفت باسم الحرب الباردة الجديدة، وكان قوامها الصراع والمواجهة والسعي الى محاصرة الخصوم، واحتمالات الاستخدام الجزئي للحرب النووية، وتصعيد المواجهة في الصراعات الاقليمية. وقد أتت الافكار السوفياتية الجديدة لتضع حدّاً لمثل هذه الافكار، ولاستخداماتها العملية.

ان مراجعة الخطاب السياسي السوفياتي، منذ العام ١٩٨٥ وحتى اللحظة الراهنة، والموجّه الى العالم الخارجي يكشف عن عدد من نقاط هامّة، هي:

- عالم واحد، أو لا عالم. بصياغة أخرى، وحدة البشرية في مواجهة تحدياتها الكونية، والبيئية، والعلمية، المختلفة. وهو ما يفترض أساليب التعاون المشترك والتعاون المتبادل بين البلدان والمجتمعات كافة. وفي المقابل تجاوز مرحلة تقسيم العالم الى عالمين متصارعين، والنظر اليهما باعتبارهما وحدة كونية واحدة تسعى الى استمرارها وبقائها، على الرغم من اختلاف ايديولوجيات الاقسام الفرعية المكوّنة لهذا العالم الواحد.
- استبعاد فكرة الحرب النووية، نظراً الى ان نتائجها لن تُبقي ولن تذر، ولن يكون، بعدها، منتصر أو مهزوم، بل تدمير شامل يصيب المجتمع.
- الطابع الانساني للعلاقات الدولية، وضرورة الاحتكام الى معايير معنوية واخلاقية. وهنا، لا بد من رفض الحرب التقليدية، التي لا تقل دماراً عن الحرب النووية، وذلك نظراً الى التطوّرات التكنولوجية والتدميرية الهائلة التي تتمتّع بها الاسلحة التقليدية في الوقت الراهن.
- تدويل الجهود من اجل نزع السلاح، وتحويله الى مجهود يُعنى بتنمية كل البشرية.
- طرح مفاهيم أكثر واقعية وفعالية في آن، كمفاهيم توازن المصالح مقابل مفهوم توازن